إشكالية الدين في فلسفة 'توماس هوبز' السياسية

نوزاد جمال حمەفرج[1]

[1]قسم الدراسات، فرع العلوم الإنسانية، المعهد الدراسات الستراتيجية والبحث العلمي، سليمانية، إقليم كوردستان، العراق.

الملخص:

بما أن اسم 'هوبز' بطريقة أو أخري، مقترن بالفلسفة السياسية ومشكلة السلطة بشكل خاص، قلما يخطر على البال، أنه ركز على 'الدين' كموضوع حساس وحاسم في الأمور السياسية. فالنظرة السائدة، هي انه يعالج مسألة السلطة في الدرجة الأولي. ولكن، إذا أمعنا النظر في نصوصه، نجد مكونا رئيسيا في فكره الفلسفي وهو؛ 'الدين'. فالدين كإشكالية معرفية وكمشكلة سياسية لا يمكن تجاوزه بدون حله في الحيز السياسي. لأن الحروب وعدم الاستقرار السياسي، يعود غالبا إلى التناحر والصراع بين المذاهب الدينية والحروب الداخلية، لذا يرى هوبز أن الحل الجذري قائم على تنظيم جديد لعلاقة الدين بالسلطة. قلما تطرق الباحثون إلى تحليل مفهوم الدين ودوافع التدين وعلاقته بالسلطة والمعرفة. لذا يقوم البحث بالجواب على السؤال التالي: هل أن انتقادات هوبز للدين ودعوته لسلطة مطلقة، الهدف الأسمى والغاية النهائية له؟ أو الغاية هي؛ التعايش بين الأديان والمذاهب والاستقرار السياسي والاجتماعي؟ من هنا يحاول البحث إثبات: هي أن انتقاداته للمذاهب والتناحر الديني، كان من أجل ذلك الهدف. فالافتراض الذهني لعدم الاستقرار والفوضى الذي يسميه بـ'الحالة الطبيعية' والانتقال من حالة 'حرب الكل ضد الكل' إلى الاستقرار لا يتم الا بعقد اجتماعي يضمن التعايش ويضمن تفويض 'القوة' لسلطة عليا فقط. فالسلطة المطلقة وسيلة وليست غاية في ذاتها. إذن، التعايش بين المكونات المختلفة للمجتمع تحت سقف واحد، هو الإطار الذي يوجه فكر هوبز.

الكلمات المفتاحية: أرسطو، الدين، تعارض السلطات، الاستقرار، السياسة.

Article Info:
DOI: 10.26750/Vol(9).No(5).Paper28
Received: 04-April-2022
Accepted: 15-May-2022
Published: 29-December-2022
Corresponding Author E-mail:
nawzad.hamafaraj@kissr.edu.krd
This work is licensed under CC-BY-NC-ND 4.0
Copyright©2022 Journal of University of Raparin.

المقدمة:

لا نبالغ إذا قلنا، أن الباحثين في نصوص هوبز، اهتموا كثيرا بالجانب السياسي دون الجانب اللاهوتي له. وفي السنوات العشرين الماضية ظهرت إعادة تقييم لاهوت هوبز، قد تحققت في ثلاثة اتجاهات هي: أولا: الاعتراف بأهمية ذلك الجزء من تفكير هوبز. وثانيا: الاعتراف بصلة اللاهوت التي لا تنفصم عن نظريته السياسية. وثالثا: التعرف على طبيعة نظرتها للسياسة والسلطة الغير متجانسة. ولكن من نواحٍ كثيرة هي غير تقليدية أيضا. ومن المفارقات الملفتة للنظر، أن الكتاب التحليلي ل'ليو شتراوس' ذو طابع استفزازي، قد سلط الضوء على نقد هوبز للديانة. ولاقت ترجمته الفرنسية إقبالا واسعا مع أنه كتب قبل نحو سبعة عقود (Lessay, 2007, p. 243). وعلاوة على هذا، الاهتمام الذي يستحقه هوبز من ناحية اللاهوت والدين، بقي اهتمامه مفتوحا للنقاش والبحث إلى حد الآن.

١. السياق التاريخي لفكر هوبز:

كان هوبز من أوائل فلاسفة الحداثة الذين تصدوا وواجهوا النص الديني وحاول تقديم فهم وتفسير آخر له(Elazar, 1992) . السياق الزمني مهد لتأسيس نظريته عن السياسة والدين، وأن نقده لأرسطو يعد مؤشرا لتقديم لاهوت سياسي خارج المنظومة الميتافيزيقية المسيحية السائدة. المؤشر الرئيسي وليس الحاسم في التفكير الفلسفي ل'هوبز'، هو الوضع السياسي والديني في القرن السابع عشر في أوربا، ولا سيما الحرب الأهلية، والتناحر الديني/ المذهبي. لأن الاعتقاد الديني كان له حضور قوى وفعال في أذهان الناس وإدارة شؤنهم الحياتية. لذا، كان الدين أحد ركائز الثورة الإنجليزية(١٦٤٠-١٦٦٠) ودخل معترك الحروب الأهلية أيضا. من هنا، السلم والاستقرار السياسي طبع فكر هوبز ويصبح شغله الشاغل. فالدين كان له دور في تأجيج الحروب وكانت الحروب تستساغ بحجج دينية بحتة. لذا، تزامن كتب هوبز الحروب الداخلية الانكليزية (Lloyd, 2014, p. 89).

وألهم الحضور القوى للدين في حياة الأفراد والمجتمعات، فكر هوبز. فقد ذهب إلى أن الانتماء الديني وراء الفتن والحروب. وبرغم أن الصراع على السلطة لها طموحات سياسية، فإن الدين والمؤسسة الدينية متورطان أيضا في هذا الصراع. ويبرر هذا التدخل بحجة القدسية الإلهية. ونتيجة لهذا، وقع الناس في معضلة هي: كيف يمكن التوفيق بين طاعة الإله والخضوع إلى سلطة الحاكم المطلقة؟ ولاسيما الأوامر المتعارضة. إذ الأوامر الدينية ذات طابع ميتافيزيقي والأوامر السياسية، ذات طابع دنيوي.

لقد تحدّت السياسة اللاهوتية، السلطة السياسة المدنية، لأنها، ارجعت شرعيتها السياسية إلى الدين وتفسيرات رجاله. فما صوغ فكر هوبز وتحليلاته طبيعة هذا الصراع. فالدين كعامل سياسي يتدخل في صلب الصراع السياسي ويطمح إلى النفوذ والتسلط على هيئة مؤسسة كالكنيسة، والتي تتصرف في الوقت نفسه كمؤسسة سياسية دنيوية. لكونها تطمح إلى السيادة غير قابلة للنقاش أو الرد في الحياة المدنية.

من هنا، نشأ التقابل الديني الدنيوي والديني، والكنيسي والمدني. فالتماثل بين السلطة الدينية المدججة بالأوامر الإلهية والسلطة المدنية الدنيوية في الوقت نفسه، أدّى إلى تضارب المصالح بين المطامح والنفوذ والأهداف للجانب الديني والسلطة المدنية. وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال: وهو كيف يمكن التصالح والتوافق بين متضادين منهجا ونظاما وفكرا؟

هذا السؤال حفّز فكر هوبز لإيجاد حلول نظرية له. فالرب ك'كلي القدرة'، مقابل سلطة الحاكم المطلقة الدنيوية، وتشكل سلطتها صراعا حادا بينهما. فسلطة الوحي، تقابل سلطة الحكومة التي تشكل خطرا على الاستقرار والأمن. لذا يرى هوبز، أنه إذا لم يخضع الناس لهيمنة سلطة الحكومة وقوانين برلمان 'المملكة المتحدة'التي لابد من اعتبار مكانتها ك'كلمة إلهية'، فعندئذ ينتهي الأمر بهم إلى الخضوع لتوجهات أحلامهم ورؤاهم أو يتحكم بعواطفهم وشغفهم. فـ'المنهج الأنثروبولوجي' لهوبز للإجابة عن بذور الصراع، وإيجاد الحل الجذري للدافع الديني لدى الإنسان. فتناهي الطبيعة البشرية(النهاية)كان دافعا مهما للبقاء وللاستحواذ على السلطة أيضا.

٢. تحليل مفهوم 'السبب' ونقد ميتافيزيك أرسطو:

خلال تحليل مفهوم الدين ودوافع التدين ومفهوم الرب والمفاهيم الميتافيزيقية السائدة، يسوق هوبز نقده عن طريق دحض المفاهيم الميتافيزيقية ك'العلة الأولى' لـ'أرسطو' التي دخلت الدين المسيحي من بعد. فالميتافيزيقيا أو 'اللاهوت الأرسطي' يعلل الأسباب الحادثة في الطبيعة والعالم ويرجعه إلى ما يسمى بـ'السبب الأول' أو 'المحرك الأول'.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(5).Paper28

فنقد توماس هوبز للتقليد الكلاسيكي على الرغم من أن المعروف جيدًا لدى الباحثين، أن هوبز كان ناقدًا لهذا التقليد، ولم يتم الكشف عن تفاصيل نقده بشكل كافٍ. استهدف نقده بشكل أساسي 'أرسطو'. لأنه اعتبره أهم مصدر للتقليد الميتافيزيقي الذي عارضه. ويتكون نقد هوبز لأرسطو من خطين رئيسيين: أحدهما سياسي أخلاقي والآخر ميتافيزيقي. لكن، وفي النهاية يتبين أنهما متصلان ببعض. إذ يساعدنا شرح نقد هوبز المزدوج لـ'أرسطو'، على فهم إعادة توجيه الفلسفة السياسية التي أدت في النهاية إلى ظهور الليبرالية الحديثة. ومن وجهة نظر 'ديفن ستاوفر' أن هوبز ليس الأب المؤسس للفلسفة السياسية الحديثة فقط، بل هو المؤسس للفلسفة السياسية كعلم حقيقي (Stafuffer, 2016).

لقد عنون هوبز جزءا من كتابه 'ليفاياتان' بـ'الفلسفة الباطلة/العبثية' وانتقد فيه التقليد الكلاسيكي الأرسطي. لأن دخول الأخطاء إلى 'الدين' جاء من ميتافيزيك أرسطو أصلا. فيعتقد أن المبادئ الخاصة للفلسفة الباطلة والمتداولة في الجامعات والكنائس، يرجع جزئيًا إلى أرسطو. وتنبثق جزئيًا عن عمى الفهم. لذا يقول؛ 'سأنظر أولاً في هذه المبادئ لأن هناك فلسفة معينة(ارسطو) اعتمدت عليها كل الفلسفات الأخرى. وهذه الفلسفة تتألف من الأخلاق بشكل أساسي وفي 'التحديد الصحيح' تتألف من دلالات، وتسميات أو أسماء... كقيود لتجنب الغموض والالتباس في التفكير. وعادة ما تطلق عليها تعريفات: مثل تعريفات الجسد، والوقت، والمكان، والمادة، والشكل والجوهر والموضوع والجوهر والصدفة، والسلطة، والفعل، والمحدود، واللانهائي، والكمية، والجودة، والحركة، والعمل، والعاطفة والخ... لشرح تصورات الإنسان فيما يتعلق بطبيعة وتكوين الأجساد.

فهذا الشرح والمصطلحات المماثلة عادة في المدارس تسمى بالميتافيزيقيا. والتي هي جزءًا من فلسفة أرسطو وتحمل عنوان 'ما بعد الطبيعة'. لكنها بمعنى آخر؛ تشير إلى النصوص التي تأتي بعد فلسفته الطبيعية. لكن 'المدارس' تأخذها ككتب للفلسفة الخارقة للطبيعة. لأن كلمة 'الميتافيزيك' تحمل كلا المعنيين (Hobbes, 1998, p. 446]). ويعرّف أرسطو وغيره من الفلاسفة الوثنيين 'الخير والشر' من خلال ميل البشر ورغبته. ما دمنا نعد كل فرد محكوم بقانونه الخاص(رغبته): ولكون الناس لا يمتلكون قانونا آخر سوى شهواتهم الخاصة، فلا يمكن أن تكون هناك قاعدة عامة لفعل الخير والشر (Hobbes, 1998, p. 452). ويعد الفلسفة الباطلة، أن الزواج بغيض للعفة والاستمرارية. وبالتالي جعلهما رذيلة أخلاقية. فلهذا يتظاهر رجال الدين بالعفة من خلال إنكار الزواج. وتقتضي دستور الكنيسة من الرهبان الحضور المستمر في المذبح والامتناع المستمرّ عن النساء تحت اسم استمرار العفة والاستمرارية والنقاء (Hobbes, 1998, p. 452).

إنّ أحد السخافات في الفلسفة الطبيعية هو أن الجاذبية سبب الثقل. وكذلك فيما يخص الفيزياء أي معرفة الأسباب الثانوية للأحداث الطبيعية. وبهذا 'لا يقدمون شيئًا على الإطلاق، بل يقدمون الكلمات الجوفاء' (Hobbes, 1998, p. 450). وإذا لم يكن الميتافيزيك والفيزياء كمثله، فلسفة عبثية، فلن يكون هناك أي منهما ولا يحتاج 'القديس بولس' إلى تحذيرنا لنتجنبهما (Hobbes, 1998, p. 451). فمثلا عندما 'يقولون إن الله هو السبب الرئيسي للقانون فهو أيضًا السبب الرئيسي لذلك أو جميع الإجراءات الأخرى. ولكن لا يوجد سبب على الإطلاق للظلم. لأنه لا يطابق تطبيق العدل في القانون. لذا يعد فلسفة عبثية. وهذا هو فلسفة جميع الرجال الذين تحدد استنتاجاتهم قبل أن يعرفوا مقدماتهم. ويميلوا إلى فهم ما لا يمكن فهمه (Hobbes, 1998, p. 452).

وهناك أخطاء تتعلق بالجواهر المجردة. من هذه الميتافيزيك التي تمتزج مع الكتاب المقدس لجعل المدرسة إلهية. لقد قيل لنا، يوجد في العالم بعض الجواهر المنفصلة عن الأجساد، التي يسمونها 'الجواهر المجردة' والأشكال الجوهرية: لتفسير كل لغة وهناك حاجة إلى حد ما أكثر من الاهتمام العادي في هذا المكان (Hobbes, 1998, p. 446). أو من لا يطيع كاهنًا يمكنه أن يصنع الله بدلاً من ملكه؛ لا من الله نفسه؟ أو من يخاف الأشباح لن يحترم أولئك الذين يستطيعون صنع الماء المقدس الذي يطردهم منه؟

وهذا يكفي مثالا على الأخطاء التي يتم جلبها إلى الكنيسة من كيانات أرسطو وجوهره: ربما كان يعرف أنها فلسفة زائفة؛ لكنهم يكتبون أي شيء يتوافق مع دينهم ويؤيدها خوفا من مصير سقراط[ii] (Hobbes, 1998, p. 449). فالاعتقاد السائد لدى المفكرين واللاهوتين المسيح في القرن الرابع عشر، كان ضد التفكير الأفلاطوني الجديد- أو الأفكار العربية اليونانية التي تسمي بـ'التناقض المتضمن في الخلق' وكان مصقولا لدي 'سانت أوغستين' (Branouw).

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(5).Paper28

٣. 'عن الدين' ودوافع التدين في 'ليافاياتان'

لا شك أن موضوع الدين يحتل أهمية كبيرة في فلسفة هوبز. ويمكن فهم نظرته تجاه الدين من خلال ثلاثة زوايا: الجانب النفسي أو كيفية فهمه للطبيعة البشرية. والجانب الثاني، هو فلسفته أو فهم العقد الاجتماعي، والأخير هو، حلوله للأمور السياسية وأوضاع البشرية (Elazar, 1992). ومع أنّه تناول الدين في أماكن مختلفة من كتبه، لكن في 'ليفاياتان' خصص قسما له وفي الأجزاء الأخرى أيضا بشكل متبعثر، وركز على الدين، مفهوم الرب، المملكة السماوية والخ... من الناحية المنهجية لإثبات آرائه السياسية (Hobbes, 1998, pp. 401-402).

تناول هوبز مشكلة 'الدين' في كتابات مختلفة. ويعد 'ليفاياتان' المانفيست الفلسفي لـ'هوبز' لتنظير آرائه حول السياسة، طبيعة السلطة، الدين والإنسان والمدنية والخ... لذا، يعد 'ليفاياتان' من أشهر نصوص اللاهوت السياسي المسيحي (Stauffer, 2020). لكون هذا النص ولاسيما القسم الثاني عشر، يعلن هوبز نواياه اللادينية (الغير الدينية). وهو أيضا من المفكرين الذين بادروا إلى الدعوة للانقطاع مع اللاهوت المسيحي السائد ومهد لنوع من فلسفة سياسية علمانية (Stauffer, 2020).

وعلي الرغم من هذا، لم يحصل القسم الثاني عشر من ليفاياتان على الأهتمام المطلوب لدي الشارحين (Stauffer, 2020). لذا، نهتم بهذا المحور بشكل خاص في هذا البحث. فاهتمامه بالدين كان من قبيل البحث في المشاكل السياسية وحل النزاع: فكل سلطة لها الأحقية في التحكم بالهيمنة على الأفراد وتوجيههم ولها الشرعية أيضا. لأن بعض المذاهب الدينية يشكل تهديدا لخضوع المدنيين إلى السلطة المدنية(Stauffer, 2020) . وبشكل عام، يمكن القول أن الدين عند هوبز كإشكالية تأخذ ثلاثة أبعاد:

–فإشكالية معرفية؛ فمن ناحية نظرية المعرفة، يبحث هوبز عن ماهية الدين وجذوره في التخيلات البشرية.

–وكإشكالية سياسية؛ فالسياسة كعلم تحاول إيجاد المكانة المناسبة للدين وإعادة تنظيمه في السياق السياسي المدني كي لا يشكل تحديّا وتهديدا للسلطة.

–وكإشكالية بشرية طبيعية اجتماعية؛ فأن الدين والتدين يعدان من خصائص الطبيعة البشرية.

إذن، يهدف هوبز إلى إيجاد حل سياسي للدين. وهذا يتطلب أيضا ان يكون هناك دين سياسي/مدني[iii]. فمن خلال تحليل دوافع التدين والدين، يفترض هوبز أن الدين مقترن بطبيعة البشر وحده دون سائر الكائنات الأخرى. فإذا أردنا أن نفهم الدين، لابد من البحث عن دوافع التدين عند البشر. لذا، يعتقد هوبز أن البذور الطبيعية للدين ترجع إلى أربعة أمور: آراء حول الأطياف والأشباح، والجهل بالأسباب الثانوية. والتسليم لما يخافه المرء في حياته. وأخذ الأشياء/الأحداث دائما ضمن علاقة سببية.

في هذا التحليل، ينتهج هوبز في كتابه إستراتيجيتين مختلفتين: من جهة يسعى إلى الحصول على الدعم المعنوي لنظرته تجاه المسيحية نفسها ومن أجل التوفيق بين الأمان والخضوع المدني ومن خلال تفسير آخر. ومن جهة أخرى، لأجل تخفيف حدة الصراع بينهما. وأحيانا يريد أن يقنع الناس كيف يغير الرسالة السطحية للإنجيل، من أجل توفيقه وإخضاعه لقيود العقل(Stauffer, 2020) . بتعبير آخر، أحيانا يسوق أدلة دينية لتخفيف الفرق بين الإيمان والأوامر المدنية. ومن جهة ينتقد الدين من أجل العقلانية.

كما، لاحظ أن هوبز استهلّ بداية كتابه بطريقة غريبة، فهو يتحدث عن الإدراك، التخيل، الذاكرة، والأحلام والرؤى وكل ذلك في كتاب يركز على السياسة (Stauffer, 2020). ولكن، من خلال نظرة دقيقة، يتبين لنا لماذا. فهو قبل الشروع في المشكلة السياسية وهي الشرعية والخضوع لسلطة مدنية تعرض النزاع الدائم والتناحرات الدينية، وخاض في جذور الدين والتدين عبر التاريخ. إذن ليس بالغريب، عندما استهل هوبز بداية القسم الأول من الكتاب بتحليل تفكير الإنسان (Hobbes, 1997, p. 49). لكونه، يكمن هنا استراتيجية هادفة.

فالجذور الإنسانية للتدين والدوافع النفسية كالخوف، شكل بوادر الوثنية والخرافات والأديان. ومن ثم يبقى عامل الخوف دافعا مهما في السياسة المدنية أيضا. فالهدف من هذا التحليل، هو التحول من الخرافة والوثنية إلى الدين ومن الدين إلى السياسة كـ'دين مدني' يلزم المواطن التسليم إلى سلطة مطلقة (للحاكم/ الملك) كرمز إلهي. لذا، فأصول الفكر البشري يكمن في الإدراك (Hobbes, 1997, p. 49). أي أن الإدراك هو القاسم المشترك بين التدين والسياسة والفلسفة، ولكن بنتائج مختلفة تماما.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(5).Paper28

وهنا تتبادر إلى الذهن أسئلة مهمة؛ لماذا الدين؟ وما الغاية منه؟ هل هناك نوع من التشابه بين الخرافة التي تنتج عن التخيل والخوف من الآلهة أو قِوى الطبيعة والأحلام والدين؟ فمنابع الدين والتدين، عند هوبز في القسم 'السادس' لكتابه هو أن الفضولية، أي الرغبة الملحة لمعرفة الجواب على السؤال هي: لماذا تؤدي الفضولية إلى الاهتمام بمعرفة الأسباب(للحوادث في العالم) وكيف؟ فيقدم هوبز في هذا السياق تعريفا للدين وهو أنه: "الخوف من القوى المجهولة-الغير المرئية- الذي يتخيله ويصوره المرء في الحكايات المؤسسة والمعترفة ويسمى رسميا بالدين. وفي حال إذا كانت هذه الحكايات غير معترفة بها رسميا، تسمى بالخرافة/المعتقدات.

ولكن، إذا كانت 'القوى' التي نتصورها نحن حقيقية كما نحن نفكر فيها، تسمى بالاعتقاد الحقيقي (Hobbes, 1997, p. 83). أي الاعتقاد المبني على معرفة واقعية/حقيقية. وإن الرغبة الملحة لمعرفة أسباب الحوادث في الطبيعة، يؤدي إلى الاعتقاد. لكن، هوبز يفرق بين 'الإله' الغامض في رأس السلسلة-أسباب الحوادث- والآلهة التي تخيلها ذهن البشر عبر التاريخ (Stauffer, 2020). وبذلك، يفرق هوبز بين الإيمان والمعرفة.

٤. الدين في كتاب 'المواطن'

يعرض هوبز بإسهاب هذا الفرق ويعتقد بأن المعرفة عبارة عن تفكيك الجمل الخبرية – المسألة- إلى أجزاء ومن ثم يقوم المرء بمضغه وهضمه. وعلى خلاف ذلك، في الإيمان يقوم المرء ببلع الشيء كليا... فالطريق إلى المعرفة، يبدأ بالتعريف. لكن، هذا يشكل خطرا على الإيمان. لأنه عن طريق التعريف ينكشف الموضوع ويتضح أكثر. وخلافا لما في الإيمان، فعندما يقوم المرء بتعريفه، يدخل في الغموض أكثر فأكثر. فالرجل الذي يقوم بعرض إيمان غامض يربطه بعامل وبأسباب طبيعية، فهو كالمريض يمضغ بعض الأشياء الصحية. لكن قبل ابتلاع الحبوب المُرّة. إلا أن النتيجة هي أنه يتقيؤها وإذا ابتلعها كليا شفاه (Hobbes, 1998, pp. 238-9).

وعندما يرى هوبز بأن الخوف هو العامل الأهم في الإيمان والدين، ولاسيما في الوضع الطبيعي للإنسان، يبرز في باله نقطة؛ أن للخوف نفس الأهمية كما في السياسة أيضا. وكذلك فإن معرفة سلسلة الأحداث نابعة عن الفضول والخوف من ما سيأتي. أي أن التعليل الأبستمولوجي للحدث، يتطلب ما يأتي؛ فكل ما يحدث حوله، يجلب نظر المرء لمعرفة السبب. لكن، ما يقوله هوبز ليس بجديد. فلقد سبقه 'لوكريتس' عندما ميز بين الخرافة والدين، واعتقد أن الخوف المجهول هو الدافع الرئيسي للتدين (Baldin, 2019).

وفي شرح المعجزة، يعتقد هوبز أن المعجزة تأتي من الإعجاب. فلقد عد القوس والقزح الأول عند البشر في العالم، معجزة. لأن الناس قد رأوا هذه الظاهرة للمرة الأولى ولم يعرفوا السبب لغرابته (Baldin, 2019). ومع أن 'الإعجاب' كان وما يزال أحد الدوافع للفكر الفلسفي وهناك وجه الشبه بين دافع التدين والفلسفة. فإن الاختلاف هنا واسع. فالإعجاب أدّى إلى التساؤل والتفكير في الفلسفة، ولكن في الدين، أدّى إلى الاعتقاد بوجود معجزة خارقة. فلا وجود 'للمحرك الأول' كما سماه أرسطو، عند هوبز. فإذا كانت القوة الأولى هو 'الإله المحرك'، فلابد أن يكون ماديا ومن جنس المواد الأخرى في الطبيعة (Baldin, 2019).

وهذا، دفع البعض بالقول إن هوبز غير مؤمن وبرغم إشهاره الالتزام بالكنيسة. لكنه هدم الإيمان بوجود 'إله' وترك اللاشيء في مكانه ويتبين أنه ليس سوى اسم بلا مسمّى (Baldin, 2019). وتأتي أهمية تحليل هوبز في كونه ميّز بين الأسباب الحقيقية للأحداث والمتخيلة في ذهن الإنسان (Baldin, 2019). فالسبب الحقيقي في عالم الطبيعة ملموس ناتج عن الخبرة والتجربة والملاحظة الحسية. لكن، المتخيل كما في الدين الوثني[iv] الخرافي ليس اقتران حدث ما في الطبيعة بعامل خارجي لا مادي.

وفي القسم الثاني عشر، يستهل هوبز ملاحظة جديرة بالاهتمام؛ 'إنّ الدين شأن إنساني فقط'. فالدين يتوفر لدى البشر وحده. لذا إن بذور الدين ترجع إلى بعض الخصائص البشرية وتنتج في الذهن التخيلات والخرافة السائدة. فالدين؛ 'الدين السياسي' على شاكلة الدين الطبيعي والإنجيلي، ذو خاصية بشرية. فعنوان كتابه ليافياتان، يقترح برسالة ضمنية أن ليس ببعيد من أن يصنع الإنسان ويخلق- يصور- وحشا "ذهنيا" وينصبه كإله مشابه للإله الإنجيلي وهذا من أجل أن ينصاع الإنسان إلى قوته المطلقة (Stauffer, 2020).

لهذا أخذ اسم كتاب 'ليفاتان' من الإنجيل (Newey, 2008, p. 23). إلا أنّه بشكل غير مباشر أراد أن يبرّر لقوة وسلطة أرضية مهيمنة كالإله الذي يعتقد المتدينون أنه في السماوات. وهذا دليل واضح آخر، على أن هوبز لم يرد أن يبني السياسة والدولة على مركزية إلهية ميتافيزيكية. لأن السياسة في نظره ليس إلا عقد وتعاهد بين الأفراد. فالسلطة هي إذن إله أرضي على منوال إله سماوي. فالوحش السياسي لابد أن يكون مخيفا ومهيبا لكي يردع الناس ويلزمهم بالطاعة الكاملة. كما هو الحال عند المؤمنين بإله قويّ، فينصاعون لأوامره

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(5).Paper28

بشدة. ولابد أن يخضع الكل لسلطة الملك المطلقة ومن ضمنها الكنيسة كرمز ديني. فملكوت السياسة، هي ملكوت أرضي ودنيوي يخضع لسلطة الملك ولا غيره.

هذا التحليل الهوبزي لماهية السلطة والتشابه المجازي بين قوة الرب والسلطة المدنية، أدّى بالباحث 'كوينتن سكينر' إلى القول: 'أن هوبز كاتب بلاغي لأنه أستخدم البلاغة كقوة إنشائية وتعبيرية لدعم آرائه بغية النقاش والحوار مع مخالفيه في زمنه (SKINNER, 1996, pp. 1-16). وتأتي أهمية البلاغة التعبيرية أن هوبز استخدمها كأداة للنقاش والإقناع مع الآخرين في الوقت نفسه. ومما تجدر الإشارة إليه، أن لهوبز تأثيرا مباشرا على 'هيوم' ويمكن القول أن طريقة هيوم في التعاطي مع مشكلة الدين، تكملة لنسق هوبز(Russell, 1988) . لذا يمكن وصف مذهب هوبز اللاديني بالمادية، الطبيعانية[v]، الجبرية[vi] والنظرة الأبيكورية للأخلاق (المتعة والنسبية) يشكل نظرته على العموم (Russell, 1988).

ومن ناحية أخرى، يعد دور هوبز مشابها لدور 'لوكريتوس' في الجمهورية الرومانية كشخصية مربكة للسلم(Russell, 1988) . وأوجه التشابه بينه وبين 'لوكريتس' خاصة قول الأخير بأن "الخوف أوجب آلهة للعالم أولا"(W.E.Krul, 1997) . الرأي نفسه نجده عند هوبز، وهو أن الدين ظاهرة بشرية بحتة وجوهره لا يوجد إلا عند الإنسان (Hobbes, Leviathan, 1997, p. 122). لأن من طبيعة البشر فقط التساؤل عن أسباب الأشياء التي يحصل في محيطه، وكذلك، يفكر البشر وحدهم عندما يرون شيئا له بداية. فيسألون أنفسهم كيف بدأ هذا الشيء ولماذا لم يحصل قبل شيء ما أو بعده؟ (Hobbes, 1997, p. 122).

فالإحساس بالوقت والقلق على المستقبل-المصير-هنا ظاهر أيضا. فالناس بطبيعتهم يهابون الأشياء اللامرئية. فلدى الإنسان بخلاف الحيوانات الأخرى؛ تصور لما قد يحصل في المستقبل. وهذا يقلقه ويدفعه للخوف مما سيأتي. فإدراكه بتسلسل الأحداث، يكون لديه ذاكرة. فالقلق على المستقبل ينتج عن ربط الأمور والأحداث بعضها ببعض. فإرجاع الدين إلى الطبيعة البشرية، يفسر النزعات والحالات النفسية المؤدية إلى التدين كالخوف والفضول في معرفة الأسباب. علما أن الدين ظاهرة بشرية[vii]وكذلك السياسة أيضا.

فإذا أردنا فهم جذور التدين وماهيته لابدّ من النظر إلى مكامن وأجواف باطنه في الإنسان وليس إلى ما وراء الطبيعة. فإذا لم يحصل المرء على 'اليقين' حول ما يحصل في محيطه من الأسباب والنتائج للأحداث، فيتخيل الأمور حسب ما يراه ويتصورها أو يعتمد على سلطة الغير كالأصدقاء والناس الذين يعرفون أفضل منه (Hobbes, 1997, p. 123). والرغبة في معرفة الأسباب والأحداث، تؤدي إلى خلق نوع من القلق تجاه ما سوف يكون. وهذا القلق مثقل بخوف من الموت(الموت كحدث سوف يأتي) ويسبب عدم الاستقرار (Hobbes, 1997, p. 123). فالدين إذن، ناتج عن الخوف من الموت. لأن الوعي بأن الحياة منتهية، يدفع المرء إلى البحث عن الطمأنينة والاستقرار.

فالدين، يخلق الإحساس بالطمأنينة بدافع الأمل في معرفة ما سوف يكون ويخلق تصورات لعالم ما بعد الحياة. فعدم معرفة الأسباب، يثقل كاهل الإنسان ويدفعه للتوجه نحو الظلمات والأوهام والخرافات. لذا قال الشعراء القدامى؛ أن أصول الإيمان بإله، ناتج عن الخوف من المجهول (Hobbes, 1997, p. 123). فالخوف يلهم البشر لكي يتخيل إلها ويبتكره. هذا التفسير يسوغه هوبز بدون إشارة صريحة إلى الأديان الوثنية. لأنه يبحث عن جذور الأديان سواء كانت وثنية أم كتابية.

إذن، فالإيمان بإله جبار، أبدي ولانهائي ومطلق، ناتج عن الميل المفرط نحو معرفة الأسباب الأولية للظواهر الطبيعية وخصائصها ومن ثم الخوف بما سوف يكون (Hobbes, 1997, p. 123). لأنّ إرجاع الأحداث في التسلسل إلى سبب قريب ومباشر، وفي النتيجة إلى سبب أولي لأسباب، يؤدي إلى الاعتقاد بالمحرك الأول كما هو متداول في الفلسفة القديمة-إشارة إلى أرسطو- (Hobbes, 1997, p. 123). لذا، إن مفهوم المحرك الأول هو المرادف لكلمة إله خالق. لأن الاهتمام بمصير الإنسان لا يؤدي هنا دورا بل يؤجج الخوف... لذا هناك آلهة متعددة بعدد البشر في العالم (Hobbes, 1997, p. 124). فالقوى اللامرئية لها المميزات والخاصيات النفسية البشرية نفسها (Hobbes, 1997, p. 124).

إن تقديس القوى اللامرئية لدى البشر، يتطابق مع الميول والانفعالات النفسية. لذا يستنتج هوبز أن جوهر الدين يتكون من: الإيمان بالأرواح، والجهل بالأسباب الثانوية للأحداث، وتقديس الأمور الذي يهابه البشر والتنبؤ بالصدف (Hobbes, 1997, p. 125). وهناك دينان: دين النوع الأول للبشرية، وهو يشارك الأمور السياسية ويرشدنا إلى الواجبات تجاه قوى الأرض ويطالبنا بالطاعة. مثلا الوثنين الذين أسسوا الدول والقوانين (Hobbes, 1997, p. 126). ودين نوع الثاني للبشرية، وهو السياسة الإلهية التي تحتوي على نص ديني مثل ابراهيم، وموس والمسيح الذين أتوا بشرع المملكة الإلهية (Hobbes, 1997, p. 126).

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(5).Paper28

فالدين، يحتوي على فكرة تجاه طبيعة القوى اللامرئية (Hobbes, 1997, p. 126). أي أن الدين يحاول تفسير القوى الخارقة للعادة. ولكن، في الأساس وفي الحقب البدائية، كانت القوى الطبيعية كالرياح، السماء، المحيطات، النباتات، النار والأرض أنواعا من الآلهة (Hobbes, 1997, p. 126). أو كانت النساء، الرجال والطيور والحيوانات كالعجل، الكلب، الثعبان الخ... أيضا آلهة (Hobbes, 1997, p. 126). فتقديس القوى الطبيعة وتقدير لدى البشر، تحول أو انتقل إلى آلهة بعد وبذلك قاموا بتقديم الضحايا/القربان، العبادة، الشكر الخ... (Hobbes, 1997, p. 127). ولم يكتفوا بذلك فقط، بل أسقطوا خصائص البشرية ومميزاتها كالعين، الرحمة والعطف على الآلهة (Hobbes, 1997, p. 127).

وحسب اعتقاد هوبز إذا نظرنا بدقة كيف ينمو الدين وينتشر في التاريخ، لا يصعب علينا أيضا أن نفهم كيف يتدهور ويرجع إلى بذوره البدائية الأولى؛ فالاعتقاد أن هناك ألوهية وقوى لا مرئية فوق الطبيعة (Hobbes, 1997, p. 130). فالدين يبقى، مادامت البذور الأولية لا تختفي في داخل الإنسان. لكن، التاريخ يثبت أيضا أن 'الدين يتطور ويتنامى بالدرجة الأولى عندما يستند إلى الثقة والولاء لشخص محدود' (Hobbes, 1997, p. 130).

لذا، يعتقد هوبز عندما تورط رجال الدين والقساوسة بأعمال غير أخلاقية وخلط المدرسون فلسفة أرسطوتاليس بالإيمان، فذلك تؤدي في النتيجة إلى ظهور لامعقوليات، والروحانية التي تمحورت حول أسماء غير معروفة وغير موثوقة (Hobbes, 1997, p. 133). فالسبب الرئيسي وراء تحول الدين إلى عادة والتدهور في العالم: هو عدم رضا الشعب من القساوسة ورجال الدين (Hobbes, 1997, p. 133). فالتدهور الخلقي والظلم والاستناد إلى الخرافات، وإلى حتف الدين.

٥. السياسة والعلم لدي هوبز:

بصورة عامة، لدى هوبز طريقتان لوصف كيفية عمل 'علم السياسة'. فمن ناحية، تربط الطريقة الأولى للسياسة بالتحليل اللغوي لتقرير ما إذا كان كل مسار عمل متصور سيكون عادلاً. والأخرى، مرتبط بشكل أكثر وضوحًا لوصف بصورة عامة، لدى هوبز طريقتان لوصف كيفية عمل علم السياسة. من ناحية، يربطها بطريقة التحليل اللغوي لتقرير ما إذا كان مسار عمل ما سيكون عدلاً أم غير عادل للمواطن. والآخر بشكل أكثر وضوحًا، مرتبط بوصف العلوم المدنية كنظرية مبنية على تجربة فكرية حول إلغاء سلطة سياسية قسرية (SOREL, 2019, p. 82).

وهناك نقطة مهمة أخرى في نصوص هوبز، هو علاقة الدين بالسياسة، والسياسة بالعلم. فربط السياسة بالعلم عنده يبين أن "الهدف الفلسفي الرئيسي هو إظهار كيفية إمكان عدّ السياسة علمًا مشابهًا للميكانيك أو الهندسة. مثل بيكون، ويشدد هوبز على فائدة العلم، مدعيا أن غاية المعرفة هي القوة. ويجادل بأن السياسة، وعلم العدالة أو الفلسفة المدنية. هي أكثر العلوم فائدة لأنها يمكن أن تمنع الصراع المدني غير الضروري؛ فكل شخص يريد الأمن والسلام، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا في المجتمع على أساس الفهم الصحيح للسلطة السياسية (Thomson, 2012, pp. 129-30). أي يجب أن تقوم النظرية السياسية على مبادئ علمية.

ومن خلال ربط السياسة والعلوم الطبيعية أو مقارنة، توطد فلسفة هوبز وشارك في ثورتين في عصرها: الحرب الأهلية الإنجليزية والثورة العلمية. قد كان هوبز إصلاحيًا في كلا المجالين. وتصور الفلسفة على أنها مقسمة على ثلاثة أجزاء: الجزء الأول يتعلق بطبيعة المادة [viii]؛ والثاني سيكولوجية الإنسانية[ix]، والثالث السياسة[x]. إذن، تتفق هذه الأجزاء الثلاثة مع الكتب الثلاثة من عناصر الفلسفة (Thomson, 2012, pp. 129-30). ووفقًا لأحد تفاسير فكر هوبز، إن 'مبادئ السياسة تستند إلى مبادئ علم النفس وهي بدورها مشتقة من الميكانيك. فالسياسة التجريبية يعد علما، لأن مبادئه قابلة للاختزال في مبادئ العلوم الطبيعية (Thomson, 2012, pp. 129-30).

لقد تم في كتاب ليفاياتان، تناول القضايا الدينية بوفرة. لكن الملفت للنظر، بأن هوبز يريد جزئيًا شرح 'ظاهرة الدين' بعبارات متوافقة مع فلسفته الآلية-الميكانيكية. لأنه يقدم تفسيرًا طبيعيًا للمعتقد الديني. فهو يرى أن المعتقدات ترجع إلى أن البشر يمتلك فضولًا طبيعيًا ويرغب في إيجاد تفسيرات لجميع الأحداث الطبيعية. فهذا هو أصل فكرة 'العامل غير المرئي' لدى الإنسان. وعلى الرغم من أنه يستخدم مثل هذه التفسيرات لتقويض الخرافات التي يعتقد أنها عدو الدين الحقيقي، وإن محاولته إعطاء تفسير طبيعي للدين لا تعني أنه يمكن تفسير الدين كله بعيدًا (Thomson, 2012, pp. 135-36).

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(5).Paper28

٦. تعارض السلطات: الملك أو القسيس من له حق السيطرة على الحكم؟

أحد أسئلة هوبز، هو من يحكم؟ القسيس يحكم باسم سلطة إلهية أو الملك-الحاكم المدني؟ فالسياسة كالدين(لاهوت السياسة) أو الدين السياسي، فهو 'دين مدني' ومبني على قوانين بشرية فقط. هناك إله سياسي وإله ديني في كتاب هوبز كما يوحي عنوان كتابه (MARTINICH, 1992, pp. 50-55). إذن، هناك تقابل بين "النبي" و"الملك". لذا، في الجزء الأخير للقسم الثالث من 'ليفاتان'، يحاول طرح التوافق والتعايش بين سلطة الرب وسلطة الإنسان. فهو يدعو إلى التمعن بشكل دقيق عن الأوامر الإلهية والتحقق من مصادره من الزيف والذين يدعون النبوة (Hobbes, 1998, pp. 401-42).

ولما كانت السياسة عملية إنسانية قابلة للتغير والتحول والأخطاء في الوقت نفسه، فالإله لا يخطأ ولا يغير رأيه، لذا لا يمكن خلط الإله بالأمور السياسية الدنيوية (Lloyd, 2014, p. 93). فرجال الدين هم الذين يريدون التحكم بالناس وأمورهم، لكن تحت اسم الرب كأن الرب هو الذي يحكم. لكن الحقيقة هي أنهم يريدون الامتياز لأنفسهم تحت ستارة الدين والآخرة. لقد، خاض هوبز مناقشة دينية وقدم تفسيرا آخر للمسيحية. فقاده الاعتقاد إلى أن المسيحية لا تنسجم مع نظامه. لذا قام بتقديم تفسير آخر للدين كي يتماشى مع مفهوم السياسة وتحويل الدين إلى سياسي/مدني (BEINER, 2011, p. 60). وبتعبير آخر، كان مشروع هوبز هو إعطاء تفسير جديد للمسيحية وتحويله إلى أداة كي تخدم السياسة (BEINER, 2011, p. 59). فموقع هوبز في الدين المدني/السياسي، يتبين أنه اعتقد أن الدين القديم(الأديان الإبراهيمية) قد فشل في ضمان الأمن والاستقرار السياسي. لذا يجب إيجاد بديل له (BEINER, 2011, p. 59).

فهذه الأديان بنت دولة ثيوقراطية بيد رجل يدعي الحكم باسم الرب (BEINER, 2011, p. 54). والمشكلة مع هذا الحكم الديني هو أنه يخلق أناسا تدعي امتلاكا للقدرة النبوية، وهذا يشكل عائقا أمام الحكم مدني. في رأي هوبز، المشكلة هي أن "في الدين(الموسوي) يدعون رجلا مختلا بنبي" (BEINER, 2011, p. 53). وفي الحقيقة، أن حكم القساوسة-رجال الدين- ليس إلا وصفة للفوضى (BEINER, 2011, p. 50). فالملك له حق الهيمنة فقط. وذلك لضمان الاستقرار وتوحيد القوة/السلطة وينقذها من الانقسامات (BEINER, 2011, p. 50). إذن، حسب تعبير 'مايكل أوكشوت' أن "المشروع الهوبزي" هو: إقناع مجموعة متنوعة من 'الفاعلين الدينيين' بالتفكير في عقيدتهم الدينية على طريقة هوبزية"[xi] (Oakeshott, 1999, p. 137).

فالسبب الأكثر شيوعًا للفتنة والحرب الأهلية، نشأ منذ وقت طويل عن صعوبة التوافق والانصياع بين أوامر الرب أو الإنسان. ولم يتم حل مشكلة طاعة الرب والإنسان في وقت واحد، بشكل كافٍ بعد (Hobbes, 1998, p. 390). إنّ مبدأ عدم التعارض بين السلطات هو لب فلسفة السياسة لدى هوبز ومفتاح حل مسألة الدين. فسلطة الرب الكائنة بيد القساوسة وسلطة الملك، تتعارضان عندما يطلب من المرء الانصياع والخضوع. لذا يمكن تحليل وبيان مكانة معرفة الرب/الدين ودور الدين في المجتمع وتنظيم علاقته بالسياسة والسلطة في نفس الوقت.

٧. معرفة الرب والدين

عند تحليل ماهية السلطة، حاول هوبز فهم طبيعة الرب أيضا. ونظرا إلى أنه ليس لدينا أي فكرة عن الرب، فقد سأل؛ كيف يمكننا التفكير فيه على الإطلاق؟ لذلك يقول هوبز؛ "طبيعة الرب غير مفهومة. وهذا يعني أننا لا نفهم شيئًا مما هو عليه" (Hobbes, 1998, p. 262). وبتعبير آخر، لا يمكن وضع الرب في الأمور السياسية، لأننا نجهل ماهيته. لكن، السياسة كعلم مبنية على التجربة، وتتطلب منا الخبرة والمعرفة العقلية.

كما في الجزء الثاني عشر يجادل بأن الله هو سبب العالم. يعتقد هوبز أيضًا أن أوامر الله هي قوانين الطبيعة، والتي تُعرف من خلال العقل.

وعلى الرغم من أنه لا يمكن معرفة الرب من خلال الاستنتاج، إلا أن طبيعته لا يمكن أن تتعارض مع العقل. يتضح إذن، أن هوبز ليس ملحدًا ومع ذلك يستبعد دراسة الرب عن طريق العلم والفلسفة اللذين يهتمان بتوليد الأشياء. ولا يمكن أن ينتج اللاهوت معرفة علمية لأن فكرة الرب هي تصور لشيء بدون سبب خارجي. فعلاوة على ذلك، يمكن للعقل فقط أن يصف الرب بطريقة سلبية وذلك من خلال مصطلحات مثل "اللانهائي" و"الأبدي". فعلى سبيل المثال، عندما نصفه أنه غير محدود، لا نملك أي فكرة عما نعنيه بالضبط. لأن

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(5).Paper28

كل ما نتخيله يجب أن يكون محدودًا؛ وبناء على ذلك "ليست هناك فكرة عن تصور أي شيء نسميه اللانهائي." لهذا السبب يقول هوبز في الجزء الثاني 'يمكن للعقل أن يخبرنا فقط بما لا يمكن أن يكون عليه الرب' (Hobbes, 1998, p. 136). وهذا يخبرنا به العقل والتجربة معا.

لقد كتب هوبز إلى الأسقف برامهول؛'إن الله "هو جسدي روحي نقي وبسيط وغير مرئي' (Thomson, 2012, pp. 135-36). وبعبارة أخرى ، إنّه روح ولكنه مادي بمعنى ما. ودعماً لرأيه، يدعي هوبز أن فكرة المادة غير المادية متناقضة مثل فكرة "المربع الدائري". فالمادة هي كل شيء له خصائص، والجسد هو كل شيء يشغل حيزًا يقبل التغيير. ومع ذلك، فإن هذا التعريف لكلمة "جسد" يسمح بإمكانية وجود أجسام مادية غير ملموسة وغير مرئية، وهو ما يسميه بالأرواح (Hobbes, Leviathan, 1998, p. 12.7). ويدعي أنه "يجب عبادة الله وتكريمه بدلاً من التحقيق فيه. وهذه الفكرة تجعله يجادل في أن هناك أشياء معينة لا ينبغي أن نقولها عن الله لأنها تشكل حديثًا "لا يستحقه" أو "يأخذ منه شرفه (Hobbes, 1998, p. 31.17). ولهذا السبب وبصرف النظر عما إذا كان صحيحًا أم خطأ، لا ينبغي لنا أن نؤكد أن الرب في مكان أو له شكل أو أنه في حالة راحة أو حركة. وبعبارة أخرى؛ يؤكد هوبز أن اللغة الدينية لها دور مدح فقط، يتم توظيفها لتسبيح الرب بدلاً من وصفه(معرفة حقيقته) كما هو (Thomson, 2012, pp. 135-36).

ويمكننا بهذه الطريقة التفكير في عدة أنواع من الأشياء التي لا نتخيلها أو نتخيلها. كإنسان يولد أعمى، فإنه يسمع أناسا يتحدثون عن تدفئة أنفسهم بالنار، وحينئذ يعلم هو أن مغزى التدفئة بالنار ويتصور بسهولة ما يسميه الناس بالنار وأنه يسبب الحرارة. ولكن لا يستطيع تخيل ما هو عليه النار وليس لديه أي فكرة عن ذلك مثل أولئك الذين يرونه. فمن خلال الأشياء المرئية في هذا العالم ونظامها الرائع، قد يتصور الإنسان أن هناك سببًا لها، والذي يسميه الناس 'ربا'. ومع ذلك ليس لديهم فكرة أو صورة عنه في الذهن (Hobbes 1994b, I.xi.25).

هذه هي القصة نفسها التي رأيناها في الاعتراضات الثلاثة لهوبز. فمثلا، الرجل المولود أعمى، لديه فكرة عن الحرارة، بتأثير النار. ولكن، ليست لديه فكرة عن النار نفسها. فيمكنه التفكير في النار على أنها الشيء الذي يسبب هذه الحرارة. وبالمثل، ليست لدينا تصورات أو أفكار عن الرب، ولكن يمكننا التفكير فيه على أنه الشيء الذي يسبب الأشياء في العالم. ويصف هوبز الرب بـ"مادة غير مادية" ولا يمكن تمييزه عن العالم أو أي جزء منه. في حين، يؤكد بوضوح أن الرب والعالم ليسا متطابقين (Hobbes, 1998, p. XXXI. 15). ويؤكد أيضًا بوضوح متساوٍ وحرية أكبر أن "الجوهر غير مادي" (والعبارات المماثلة) ليس لها أي دلالة (Hobbes, 1998, p. IV. 24; VIII. 27; XII. 7; XLIV. 16; XLV. 2). ويقول 'أعني بالجسدي[xii] مادة لها حجم... " (Hobbes, 1998, p. 4: 313). و"الروح جسم رقيق، سائل، شفاف، غير مرئي (GASKIN, 1996, p. xxvi).

إذن، يؤكد هوبز هنا الحد الأدنى من الافتراضات في وجود إله. ويرفض المفهوم الأكثر شيوعًا لكيفية وصف وجود إله، باعتباره كلامًا تافهًا ويؤكد وجود الرب كشيء ضمن النطاق المفاهيمي لواقعية العالم الواحد (GASKIN, 1996, p. xxvii). لأن طبيعة الله غير مفهومة. ونحن لا نفهم شيئًا عن ماهيته إلا أنه هو؛ ومن ثم فإن الصفات التي نمنحها له، ليست إخبار بعضنا بعضاً بما هو، وليست تعبيرا عن رأينا في طبيعته، ولكن هي رغبتنا في تكريمه بأسماء مثل الذي نتصوره أكثر شرفا من غيره بيننا ([Hobbes, 1998, p. 262).

٨. الدين كعامل استقرار وعدمه:

يتبين أن هوبز انتقد الدين السائد ودعا إلى دين/لاهوت سياسي نابع عن 'عقد جماعي'. لقد لعب الدين دورًا كبيرًا في 'ليفاياتان' وفي هذا يتبع هوبز معاصريه الذين كانت الأسئلة الدينية فيما يخصهم ذات أهمية سياسية كبيرة. وكانت الأسئلة الدينية، سواء كانت متعلقة باللاهوت أو التنظيم الكنسي، متضخمة في الحروب الأهلية. حتى عقدين من الزمن، واعتقد معظم المعلقين أنه في 'ليفاياتان' أيد نظامًا سياسيًا يهيمن فيه دين واحد -يحدده صاحب السيادة. وفي الآونة الأخيرة، خلص العديد من قراء هوبز إلى أنه دافع عن درجة من الحرية الدينية التي، على الرغم من تقييدها بالمعايير الحديثة، كانت في وقته واسعة النطاق إلى حد ما(Newey, 2008 , p. 142) .

فالدين كسلطة معنوية تستند إلى احكام وشرائع تريد السلطة والتحكم بحياة الافراد. وفي المقابل يوعظ بحياة الآخرة. والدين كسلطة معنوية، يتحدى السلطة الارضية في الوقت نفسه. لكونه اداة في يد رجال الدين والكهنوت. فالحل السياسي لمشكلة الدين، يقع

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(5).Paper28

في الجزء المسمى بـ"عن الدين' وضمن 'القسم الأول' الذي يسمى بـ'عن البشر'. لأنّ الدين، يخص البشر دون غيره فقط، كما هو حال السياسة أيضا. لذا بشكل دقيق، حدد هوبز عددًا من العوامل التي تضعف الجسم السياسي ثم تعيده إلى حالة الحرب والفوضى:

(١) أن كل إنسان يحكم على فعل الخير والشر.
(٢) أن ما يتم فعله ضد الضمير هو خطيئة.
(٣) هذا الإيمان والقداسة (أو ، كما يقول لاحقًا "الخلاص") يأتي من الوحي الخارق للطبيعة الخاصة.
(٤) إقامة سلطة "شبحية" ضد المدنية، كما إذا كانت هناك "مملكة أخرى، كمملكة الجنيات، في الظلام" "تحرك أعضاء الكومنولث، من خلال إرهاب العقوبات، والأمل في المكافآت... بخلاف السلطة المدنية ' (Hobbes, 1998, pp. 212-21).

ويعتقد هوبز أن 'الضمير' يبدأ كعلم، أو معرفة متبادلة مع حقيقة معينة أو أخرى: وبعد ذلك استخدم الناس الكلمة نفسها مجازيًا لمعرفة الحقائق السرية الخاصة بهم... وأخيرًا، فالناس مغرمون بشدة بآرائهم الخاصة... ومنح هؤلاء آرائهم التي تبجل اسم الضمير، وان كان غير قانوني تغييره أو التحدث ضده. ولذا يتظاهرون بمعرفة أنهم على حق، في حين أنهم لا يعرفون على أكثر مما يعتقدون ذلك ([Hobbes, 1998, p. 262]). ان 'ملكوت الله مملكة مدنية (Hobbes, 1998, p. 275). أي، بشرية الطبع. فالدنيا والأمور السياسية إذا كانت من الرب، فإنه مملكة مدنية إنسانية ارضية. لذا، الحفاظ على المجتمع المدني، يعتمد على العدالة؛ التي تركز على قوة الحياة والموت، وعلي المكافآت والعقوبات للمقيمين فيها. من المستحيل أن يقف الكومنولث دون سلطة يكافئ أو يعاقب. فالسيادة أعظم من الحياة... (Hobbes, 1998, p. 297).

وفي الفصل الأخير من كتاب 'ليفاياتان' يشير هوبز إلى أربعة أسباب 'للظلام الروحي'. فيقول بتعبير بلاغي؛ "لقد كان العدو هنا في ليلة جهلنا الطبيعي، وزرع الأخطاء الروحية. وذلك أولاً بإساءة استخدام الكتاب المقدس وإخراجه من نوره، لأننا نخطئ، لعدم معرفتنا بالكتاب المقدس. وثانيًا، من خلال تقديم علم الشياطين للشعراء الوثنيين. أي عقيدتهم الرائعة المتعلقة بالشياطين التي ليست سوى أصنام أو أوهام للدماغ، دون أي طبيعة حقيقية خاصة بهم، متميزة عن الخيال البشري؛ مثل أشباح الرجال الموتى، والجنيات، وأمور أخرى من حكايات الزوجات العجائز. وثالثًا، بخلط الكتاب المقدس مع بقايا الدين المتنوعة، والكثير من فلسفة الإغريق الباطلة[xiii] والخاطئة ولاسيما فلسفة أرسطو. ورابعًا ، من خلال الاختلاط بكل من التقاليد الزائفة أو غير المؤكدة والتاريخ الزائف أو غير المؤكد (Hobbes, 1998, p. 404).

ولذا يعتقد هوبز باننا نخطئ، من خلال الاهتمام بإغواء الأرواح، وعلم الشياطين مثل الكلام الذي يكمن في النفاق (كما في'تيموثاوس 2, I· 4) -من أولئك الذين يلعبون الدور من الكذابين- بضمير محموم. خلافًا لمعرفتهم الخاصة، لأن همم الأول هو إغواء الناس (Hobbes, 1998, p. 404) . من هنا يعد هوبز ان مهام ودور الفلسفة هو ازالة الغطاء عن التدين وكشف الظلام الذي سيطر عليه. لأنه يري أن 'الظلام جاء من الفلسفة الباطلة والتقاليد الخرافية' (Hobbes, 1998, p. 367). فبالفلسفة تُفهم المعرفة المكتسبة وذلك عن طريق العقل. ويؤكد أن أي 'عقيدة خاطئة ليست جزءا من الفلسفة. فلم يعد الوحي خارقًا للطبيعة: ولا يُنسب التعلم إلى المؤلفين من بدايات وتقدم الفلسفة (Hobbes, 1998, p. 442).

كما ان لهوبز قول مشهور ومتداول أن: المذاهب الدينية كالحبوب التي يصفها الأطباء التي إذا ابتلعها المرء كله، كان خيرا. أما، إذا مضغها فيجعله مريضنا' (Hobbes, 1998, pp. 238-9). فيتبين هنا، اذن أن المنظار النفسي لدور الدين عند هوبز، هو الذي يحدد دور الدين كعلاج لحالة البشر ومكانته في المجتمع أيضا. فدور الدين، ذو حدين: اما يشفي أو يمرض المرء. فالجدال وخلط الدين بأمور السياسة والتوغل في تفسيرات وتبريرات حماسية ودوغمائية متعصبة للنص الديني، يجعل من الدين مرضا وخطرا على الاستقرار. فالدين، هو مسألة ذاتية وإيمان داخلي به.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(5).Paper28

النتيجة:

إحدى النتائج التي وصلت البحث اليها، هو بتجاوز التفسيرات السائدة والأحادية لنص 'هوبز'، يمكننا فهم أصح لهوبز. فنظرته للسياسة والحكم وينظم علاقتهما بالدين. السياسة تبنى على اتفاق عقلاني وكفيلة بالتعايش والاستقرار والتوازن بين المكونات والمذاهب، ورد هيمنة دين أو مذهب واحد على الكل. وبما أن الدين يستند إلى تفسيرات وآراء مختلفة للمذاهب وتتسرب نزعات ذاتية ومصالح ومطامع شخصية لهذه التفاسير، فالحل هو؛ سياسة توافقية دنيوية قائم على التناغم. وليس التسلط بحجج مذهبية/دينية مستندة إلى تفاسير وتأويلات حسب مصالح الفئات.

لذا، يدعو إلى قوة متسلطة متغطرسة ومستبدة. لأن، قراءة دقيقة تبين أن الأسباب التي دفعه إلى هذا التفكير السياسي، ناتج عن تقديراته لطبيعة البشر والسلطة والمجتمعات وتأثير الدين والمذاهب في زمنه. ولذلك، تمكن من تثبيت أركان فلسفة السلطة من خلال تفكيك الخطاب الديني السائد في عصره وتقديم تفسير آخر للدين والتدين ضمن نظامه للحكم. وانتقد الموروثات الميتافيزيكية التي اختلط بالدين وحوّله إلى اداة للهيمنة والتسلط والتناحر المذهبي. فمهمة هوبز؛ هو كيف يحل الاستقرار وينجو المجتمع من التنازع والصراع الدائم. الاستقرار السياسي لا يضمن بدون التعايش. والسلم والأمن هو الغاية الأولى والأخيرة عنده.

ولابد أن تبنى السياسة على التعاهد والاتفاق والتنازل عن 'القوة' لسلطة مدنية لادينية عليا. وتكون لها السلطة المطلقة لا تركن للحدود والتخوم الذي يفرض عليها من خارجها. بما أن ماهية السلطة هي الاستقرار، فلابد أن تكون لها السطوة. من هنا، إن مهمة الفلسفة هي كشف غطاء الظلام عن ماهية السلطة والدين الذي يستخدم كسلة معنوية تعارض أركان الحكم. مما تجدر الإشارة إليها، إن هوبز تناول الدين والسياسة كمشكلة نظرية ومعرفية، إلّا أنّ أسلوبه في تناول الدين، يتسم بنوع من الاختزالية. ولكن تبين أن اختزال خصائص الدين كان من أجل تبسيط وعقلنة سلطة 'الكنيسة[xiv]' (Parkin, 2018, p. 194). ومن ناحية أخري إن ما قام به هوبز في الحقيقة، هو إعادة هندسة المسيحية تماما (Parkin, 2018, p. 191). أي إيجاد موقع عصري للدين في المملكة السياسية.

ويعاتب هوبز أيضا، على 'عدم تناسق تعريفه وكتابته في ليافايتان عن الدين، وأنه هناك نوع من التناقض في تعريف الدين' (MARTINICH, 1992, pp. 50-55). لأنه بشكل متبعثر وفي أماكن متفرقة تصدّى لموضوع الدين وإشكاليته المعرفية ومكانته السياسية. فأحيانا كان يرجعه إلى الميل الطبيعي لمعرفة الأسباب خلف الأحداث وأحيانا إلى الخوف والسعي للطمأنينة والاستقرار في عالم يتسم بالصراعات والنزاعات التي ترجع إلى الطبيعة الأنانية المزودة بتفسيرات وتبريرات دينية.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(5).Paper28

Journal of University of Raparin گۆڤاری زانکۆی ڕاپەڕین E-ISSN: 2522 – 7130 P-ISSN: 2410 – 1036

The Problem of Religion in the Political Philosophy of *'Thomas Hobbes'*

Nawzad Jamal Hamafaraj[1]

[1]Division of Strategic Studies, Department of Human Science, Kurdistan Institute for Strategic Studies and Scientefic Research, Sulaimani, Kurdistan Region, Iraq.

Abstract:

Since the name 'Hobbes' in one way or another, associated with political philosophy and the problem of power in particular, rarely comes to mind, he focused on 'religion' as a sensitive and crucial subject in political matters. The prevailing view is that it deals with the issue of power in the first place. However, if we look closely at his texts, we find a major component in his philosophical thought, which is; 'Religion'. Religion as an epistemological problem and as a political problem cannot be overcome without solving it in the political space. Because wars and political instability are often due to rivalries and conflict between religious sects and internal wars, Hobbes believes that the radical solution is based on a new organization of the relationship of religion to power. Rarely did researchers analyze the concept of religion, the motives of religiosity and its relationship to power and knowledge. Therefore, the research answers the following question: Are Hobbes' criticisms of religion and its call for absolute power, the ultimate goal and ultimate end of it? or the end is; Coexistence between religions and sects and political and social stability? From here, the research tries to prove: that his criticisms of the sects and religious rivalries were for that goal. The mental assumption of instability and chaos, which he calls the 'natural state', and the transition from a state of 'war of all against all' to stability can only take place through a social contract that guarantees coexistence and ensures that 'power' is delegated to a higher authority only. Absolute power is a means, not an end in itself. So, the coexistence between the different components of society under one roof is the framework that guides Hobbes' thought. Key words: Aristotle, religion, opposition to authorities, stability, politics.

Keywords: Aristotle, Religion, Opposition to Authorities, Stability, Politics.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(5).Paper28

الهوامش:

[i] commonwealth

[ii]اشارة ضمنية لمصير سقراط، الموت.

[iii]Civic Religion
[iv]Paganism
[v]Naturalism
[vi] necessitarianism

[vii]لابد من الأشارة إلى حقيقة ان الدين كظاهرة بشرية كامن في التأريخ الطبيعي للإنسان، يؤثر في مابعد على كلا الفيلسوفان 'كنت' و'فيورباخ' لاحقا.

[viii]كتاب ((De Corpore (1655 يهتم بالأجسام المادية أو حقائق الفيزياء أو 'مبادئ الميكانيك' التي تستند إلى الهندسة.

[ix]كتاب ((De Homine (1658 حول علم النفس ومبادئ السلوك البشري.

[x]كتاب ((De Cive (1642 'عن المواطن' يتحدث عن مبادئ السياسة أو المجتمع المدني.

[xi]Hobbesianly
[xii] corporeal
[xiii] vain
[xiv] ECCLESIASTICAL

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(5).Paper28

المصادر:

Baldin, G. (2019, April 24). Nothing but the Name of God. Hobbes on Theology and Religion. *openedition.org*.

BEINER, R. (2011). *Civil Religion A Dialogue in the History of Political Philosophy.* Cambridge University Press.

Branouw, J. (n.d.). The Separation of Reason and Fatith in Bacon and Hobbes, And Leibniz Theodicy.

Elazar, D. J. (1992). Hoebbes Confronts Scripture. *Jewish Political Studies Review 4:2*, 3-24.

GASKIN, C. A. (1996). Introduction. In T. HOBBES, *Leviathan.* Oxford university Press.

Hobbes, T. (1997). *Leviathan.* Amsterdam: Boom.

Hobbes, T. (1998). *Leviathan.* Oxford university Press.

Hobbes, T. (1998). *On the Citizen.* ambridge University Press.

Lessay, F. (2007). Hobbes's Covenant Theology and Its Political Implications. In P. Springborg, *The Cambridge Companion to HOBBES'S LEVIATHAN* (pp. 243-73). Cambridge University Press.

Lloyd, S. (2014). Thomas Hobbes. In G. O. Trakakis, *Early modern philosophy of religion -avolume 3 the history of western philosophy of religion* (pp. thomas hobbes Sharon Lloyd.89-100.). Routledge.

MARTINICH, A. P. (1992). *The Two Gods of Leviathan Thomas Hobbes on Religion and Politics.* Cambridge University Press.

Newey, G. (2008). *Routledge Philosophy Guide Book to Hobbes and Leviathan.* Routledge.

Newey, G. (2008). *Routledge Philosophy GuideBook to.* Routledge.

Oakeshott, M. (1999). *On History and Other Essays.* Indianapolis, IN: Liberty Fund.

Parkin, J. (2018). Hobbes and the Future of Religion. In L. v. Douglass, *Hobbes on Politics and Religion* (pp. 184-201). Jon Parkin.Hobbes on Politics and Religion. Laurens van Apeldoorn and Robin Douglass. Oxford University Press s 2018.

Russell, P. (1988). Skepticism And Natural Religion in Hume Treatise. *Journal of the History of Ideas*, 247-265.

SKINNER, Q. (1996). *REASON AND RHETORIC IN THE PHILOSOPHY OF HOBBES.* CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS.

SOREL, T. (2019). Appeals to Experience in Hobbes' Science of Politics. In A. V. Anstey, *Experiment, Speculation and Religion in Early Modern Philosophy* (pp. 80-100). Routledge.

Stafuffer, D. (2016, August). Of Darkness from Vain Philosophy": Hobbes's Critique of the Classical Tradition. *American Political Science Review* , pp. 481 - 494.

Stauffer, D. (2020). "Of Religion" in Hobbes's Leviathan. *The Journal of Politics*, 868-879.

Thomson, G. (2012). *Bacon to Kant.* Waveland Press.

W.E.Krul. (1997). Annotatie. In T. Hobbes, *Leviathan* (pp. 266-76). Amsterdam : Boom.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(5).Paper28